

# «الأنباء» في أذربيجان.. بلد النيران

## عاصمة الثقافة الإسلامية

### باكو وموطن الفن والجمال



## المسلمون في القوقاز حكاية عمرها 1400 عام

### الحلقة (5)

من باكو الى ديربنت او باب الابواب الى غروزني حتى موسكو.. حكاية عمرها 1400 عام هي قصة دخول الاسلام الى جبال القوقاز ومنها انتشر الى آسيا الوسطى وصولا الى الصين شرقا وغربا الى ارمينيا وجورجيا وحتى أوروبا.

قصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وخلافة سيرت في مهدها جيوشنا فتحت بهم الارض مع انهم كانوا اقل عددا وعدة من غيرهم الا ان سلاح الإيمان جمعهم حتى دانت لهم الأرض.

في هذه الصفحات نفتح ملف الاسلام في القوقاز وكيف يعيش المسلمون هناك اليوم وما اهم ملامح بلادهم وحضارتهم القديمة والحديثة. نعيش ونتعاش معهم من خلال تلك الصفحات التي تكشف عن اهم الاسرار التي حوالت التاريخ بين جناباته من رواته الحقيقيين وهم اهل تلك البلاد الساحرة بتاريخها الاسلامي التليد.

من نار كسرى في باكو عاصمة الثقافة الإسلامية الى ديربنت وقبور 40 صحابيا من صحابة الرسول الكريم ﷺ الى قلعة القلعة الشهيرة وخامس اقدم مسجد في التاريخ الإسلامي لا يزال شاهما وراصدا لتطور بلاد المسلمين في القوقاز التي فتحتها سراقفة بن عمرو في عهد الفاروق عمر بن الخطاب عام 20 هجرية كانت تلك الصفحات من تاريخ الامة.

وما تزال مستعرة في ظاهرة فريدة وغريبة الى يومنا هذا - حسب رواية الكثيرين. ما يميز باكو اليوم هي تلك النهضة العمرانية غير المسبوقة والتي بدأها الرئيس الحالي الهام علييف حيث اعاد للمدينة شبابها وجمالها عبر ترميم جميع مباني العاصمة على الطراز الباريسي على نفقة الحكومة ومساندة من الاهالي وتوزيع النوافير الراقصة وتماثيل شعراء وفناني أذربيجان في جميع ميادين العاصمة وبناء اسوار على طرز فنية حول طرق العاصمة الرئيسية وجعل الرئيس علييف باكو «متحفا فنيا مفتوحا امام زوار المدينة العريقة».

وليس بغريب ان تحتل باكو درة تاج الثقافة الإسلامية حيث حصلت المدينة العام الماضي على لقب عاصمة الثقافة الإسلامية ويسعى رئيسها بتكاتف شعبيها الى نيل باكو لقب عاصمة الثقافة الأوروبية وهو يسارع الزمن لذلك، ويسارع الزمن ايضا لاستعادة إقليم كراباخ السذي يعد قضية البلاد الاولى.

#### غاية من الاساطير

وتعيش أذربيجان وبخاصة باكو وسط غابة من الاساطير والحكايات التاريخية وخاصة عن قصص الحب والغرام والعشق والعشاق، فهنا قلعة العذراء التي تحكي قصة عذراء سجنها ابوها في تلك القلعة على بحر قزوين حتى لاترى حبيبها لانه من عامة الشعب فما كان منها الا ان القت بنفسها من اعلى القلعة التي ترى من اعلاها باكو من شمالها لجنوبها ومن شرقيها لغربها وتتميز بطراز فني رائع في بناؤها من الخارج والداخل.

وليست تلك القصة الوحيدة عن العشق والغرام فهناك عشرات بل مئات القصص في بلد يقال ان حاكمه كان شهريار وقصته المعروفة مع شهزاد في الف ليلة وليلة المشهورة في بلادنا العربية والفت فيها عشرات القصص، وهناك ايضا قصة الشاعر الذي خطف حبيبته على فرسه الابيض وحلق بها الى السماء وهم ينسجون حول تلك القصص العديد من ابيات الشعر وتنقشها ايدي البقية ص 27



أحد المعالم الأثرية للمسلمين القدماء في أذربيجان

العالمية، وفي باكو لا يوجد ميدان ليس به تمثال شاعر أو فنان أو توكري تجسد تاريخ المدينة الضارب في القدم، وايضا لا يوجد شارع ليست به صورة كبيرة أو تمثال لرئيسهم الشعبي حيدر علييف والد الرئيس الحالي الهام علييف.

على اسوار مدينتها القديمة تحكي ألف قصة للحب، وتخلد نبوغ العسرب الذين جاءوا وبنوا وحكموا تلك المدينة منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب حين ارسل حملة بقيادة حذيفة بن اليمان ليكون اول حاكم مسلم لتلك البلاد التي كانت حدودها تبدأ من العراق وتضم بلاد فارس بأكملها ولا يزال ملايين الأذربيجانيين أو انري- كما يسمون انفسهم اختصارا - يعيشون في ايران الى يومنا هذا.

قصص وحكايات تعيد بنا التاريخ الى اكثر من 2500 سنة بدأتها في أذربيجان من جبل النيران، وهو جبل نار كسرى التي لم تنطفئ الا يوما واحدا منذ 2500 سنة وهو يوم ميلاد الحبيب محمد ﷺ

تخبيت دعائم وأركان الدولة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بعد ان تولى قيادتها من عام 1993 حتى 2003 وخلفه من بعده ابنه الهام الذي يقفز ببلده الى مستويات عالمية من التنمية والازدهار.

#### من ديربنت الى باكو

المسافة بين ديربنت او باب الابواب في داغستان التابعة للحكم الفيدرالي الروسي وعاصمة جمهورية أذربيجان المستقلة باكو 180 كيلومترا وبين عاصمة الشيشان غروزني 550 كيلومترا تقع جميعها بين سهول ووديان وجبال القوقاز الشهيرة بمنظرها الأخضر الخلاب، وتعتبر باكو معبر الفتوحات الإسلامية قبل ديربنت من ناحية الجنوب على بحر قزوين.

في باكو عاصمة أذربيجان لا يوجد شارع ليس به متحف أو تزيينه نافورة موسيقية جميلة تتراقص بأشعة الليزر معبرة عن أجمل رقصات الباليه

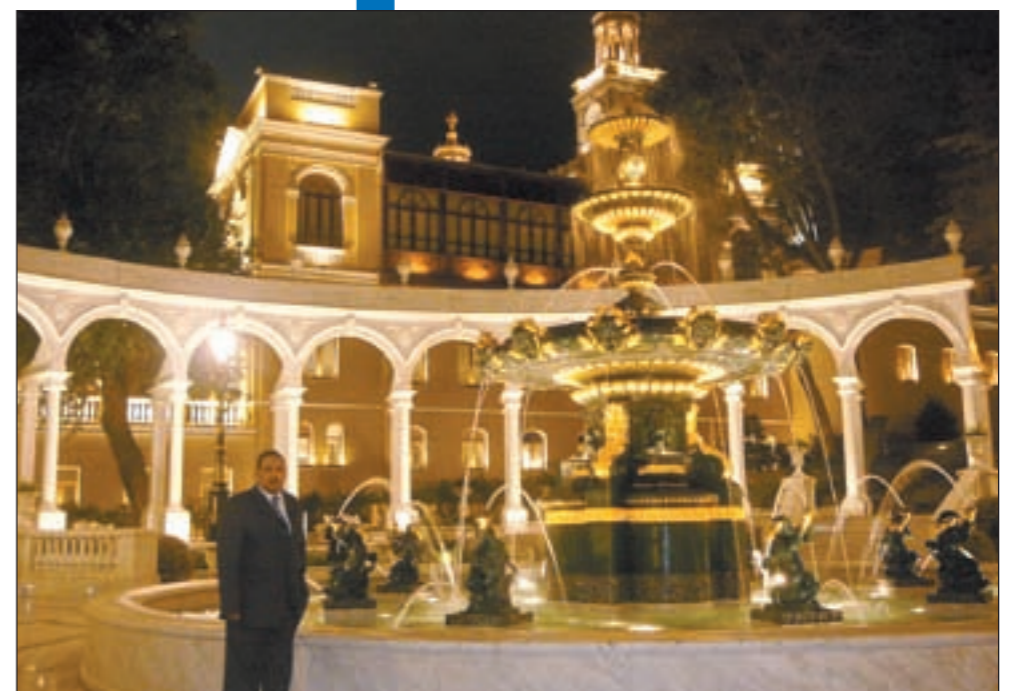
العاصمة الأذربيجانية باكو - أسامة أبو السعود  
خلف أسوار المدينة القديمة يعود التاريخ اكثر من ألف عام الى الوراء بقلب صفحاته ويروي ما بين طبائته أشهر معارك المسلمين وإقامة أول خلافة إسلامية في باكو عاصمة أذربيجان التي كانت تمتد حدودها بين بحر قزوين وشط العرب في العراق.

إمبراطورية ضخمة تنقل بها التاريخ وتصارعت وتقاطعت عندها أشهر أحداثه من دولة عظمى فدويلات متفتحة ومن السنة الى الشيعة ومن خط الدفاع الاول ضد المغول الى دولة تحارب الأفغان والأتراك وأخيرا تقع في قبضة السوفييت لآكثر من 70 عاما حتى تعود الى حكم ابناءها وتشهد نهضة حضارية لم تشهدها منذ قدوم المسلمين الأوائل الى تلك البلاد التي تعتبر همزة الوصل بين الشرق والغرب.

عشرات العلماء والفلاسفة والشعراء وكنوز بلد مازال يحتفظ بالكثير من الاسرار والجمال نسرد بعضا منها في تلك الحلقات، انها أذربيجان مدينة النيران - كما يطلقون عليها لأنها كانت من أوائل البلدان النفطية في العالم حيث يقول المؤرخون إن تاريخ النفط في أذربيجان يعود الى القرن الرابع عشر الميلادي وربما قبله، حين كان النفط يوضع في أكياس من الجسد لتحمله الجمال في رحلات طويلة إلى إيران والعراق وبلدان أخرى، ليستخدم للإضاءة، وفي الأغراض الحربية والطبية، وكانت وسائل استخراجها غاية في البدائية.

وفي عام 1844 حفر أول بئر للنفط في أذربيجان، وفي 1922 شهدت أذربيجان بناء أول مصفاة للنفط في العالم كله. وخلال سنوات الحكم الشيوعي كان النفط يستغل وفقا لسياسة موسكو حتى أن باكو أنتجت في الفترة بين عام 1941 و1945 نحو 64% من نفط الاتحاد السوفييتي كله، وبانهيار المنظومة الشيوعية وحصول البلاد على استقلالها قررت باكو استغلال مواردها النفطية بأقصى طاقة ممكنة لإحداث إصلاحات اقتصادية وسياسية كبيرة.

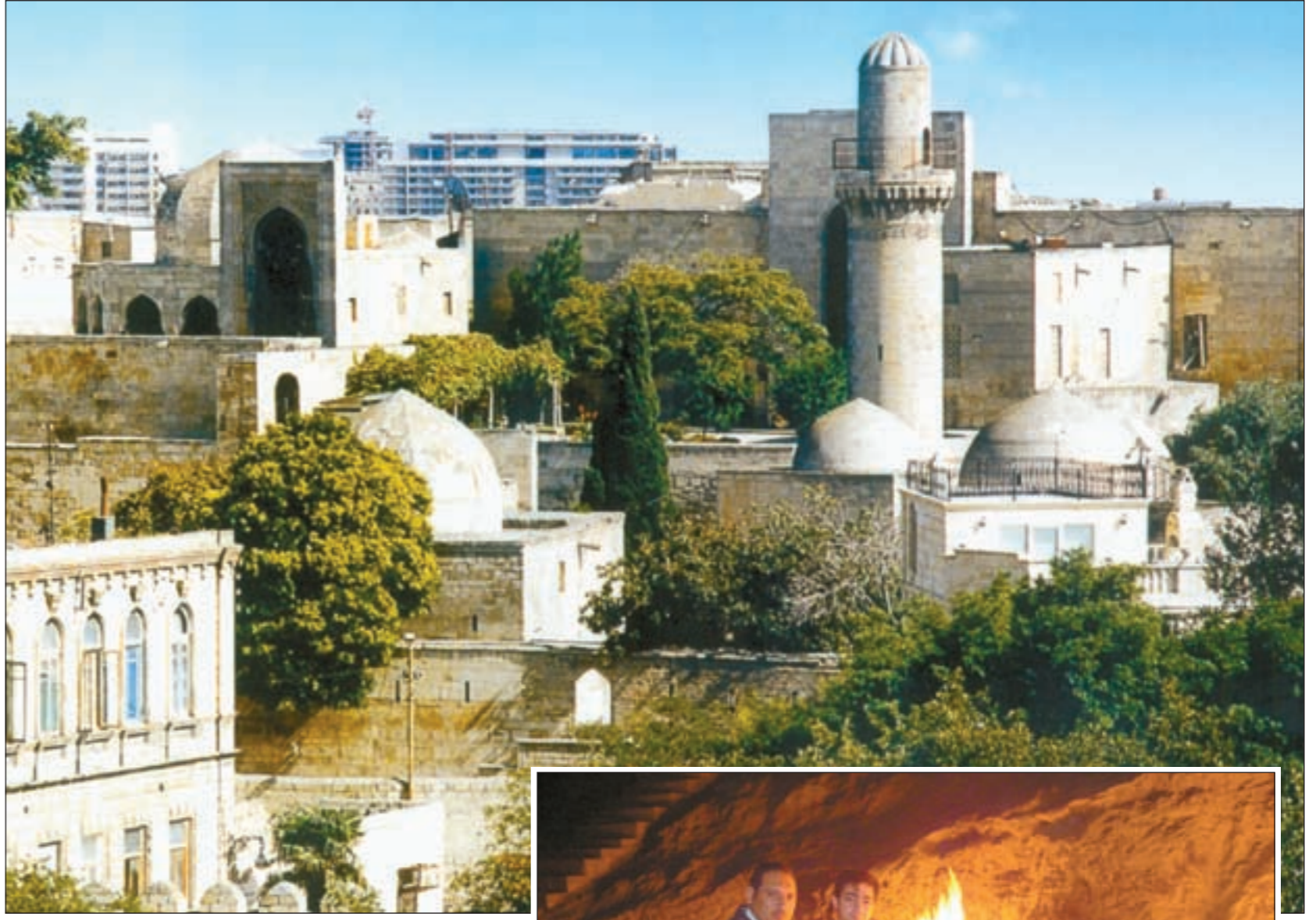
تربيع على حكم أذربيجان الآن الرئيس الهام علييف والذي تولى السلطة بعد وفاة والده حيدر علييف الذي خطا بأذربيجان خطوات كبيرة في



قلاع تاريخية يعود تاريخ بعضها لأكثر من ألف عام

الزميل أسامة أبو السعود أمام إحدى نوافير العاصمة باكو

# عليف يسابق الزمن لتحويل بلاده إلى باريس الشرق.. وكرباخ قضيته الأولى



## نار كسرى

خلال زيارتنا لأذربيجان قمنا بزيارة قرية محمدلي وهي لا تبعد أكثر من 10 كيلومترات عن العاصمة باكو. حيث نشاهدنا جبل النيران وهو جبل يذكر أهل المنطقة أن ناره لم تنطفئ منذ 2500 سنة كاملة إلا يوم ميلاد النبي محمد ﷺ وهي نار كسرى الشهيرة. ولا يزال هناك معبد لعبادة النار يأتون إليه من الهند وغيرها إلا أن الحكومة الأذرية تمنع إقامة أي مظهر من مظاهر العبادة في هذا المكان وتعتبر المكان معلما سياحيا. سألنا إذا كانت تلك النيران بفعل غاز منبعث من تحت الجبل البارد. فرد بعض الحضور هل يمكن أن تستمر نيران من الغاز 2500 سنة دون أن تنطفئ يوما وبهذه الشدة؟!



جبل النار

## حذيفة بن اليمان أول حاكم مسلم لأذربيجان في عهد الفاروق عمر بن الخطاب

## من الوثنية والزرادشتية إلى ديانات السماء وصولاً إلى العلمانية.. أذربيجان.. بلد روسي التقاليد.. غربي الهوية إسلامي الهوية

## من قلعة العذراء إلى جبل النار.. باكو عاصمة الأساطير

## أذربيجان أول بلد منتج للنفط في العالم والسوفييت حصلوا على 64% من مستلزماتهم النفطية خلال الحربين العالميتين من أبارها

للإسلام، وازدهرت مدن إسلامية مثل مدينة (ورثان) (برزند) وانتشرت اللغة العربية خلف الإسلام، حيث أخذت العناصر العربية المهاجرة في دعمها، وهكذا كان انتشار الإسلام في منطقة أذربيجان أسرع من انتشاره في غيرها من البلاد المجاورة. وفي عهد العباسيين استمر ازدهار الدعوة الإسلامية، وتولى يزيد بن أسيد السلمي منطقة الحدود الشمالية واتخذ من أذربيجان قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال وهكذا استمر دور أذربيجان كقاعدة لبث الإسلام في المنطقة، واحتل السلاجقة المنطقة في القرن الخامس الهجري، ثم حكمها المغول وأصبحت جزءاً من إمبراطوريتهم ثم أصبحت من أهم معاقل الصوفيون، وبعد ذلك حكمها العثمانيون حكماً اسمياً. وكانت لغة الأزد (أذربيجان) تكتب بحروف عربية قبل استبدالها بحروف روسية، وتنقسم لغة الأذري إلى لهجتين شمالية وجنوبية، وتنتمي إلى اللغات التركية.

### العهد السوفييتي

بعد سيطرة السوفييت على أذربيجان واجه المسلمون تحدياً في تضيق الخناق على عقيدتهم، فلقد هاجر الروس بأعداد كبيرة إلى أذربيجان بحيث أصبحوا أكثر من 10% من السكان، وتقلص عدد المساجد من 2000 مسجد إلى 16 مسجداً فقط، كما نقص عدد المدارس الإسلامية بل أصبحت في حكم المنتهية.

وفي باكو الإدارة الدينية الإسلامية لأذربيجان وما وراء القوقاز ويرأسها مفتي مسلم شيعي ونائبه مسلم سني حيث يشكل المسلمون الشيعة الأغلبية في أذربيجان الآن.

### التعايش بين أبنائه

ورغم ذلك إلا أن أذربيجان اليوم بلد لا يعرف المذهبية الطائفية الضيقة ويتعايش جميع أبنائه من المسلمين «سنة وشيعة» والمسيحيين واليهود في وئام تام فلم تشهد البلاد مثلاً في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي أي حادث طائفي أو عرقي أو ديني وهو ما يؤكد حقيقة التعايش في هذا البلد الجميل بأهله وقيادته.



باكو تعيش نهضة حضارية متميزة

جيدة خلافا لتصرفات ومعاملات الحكام الطغاة السابقين لهذه المناطق وكان شرطهم الوحيد دفع الضرائب من قبل السكان غير المسلمين إلى خزائنة الدولة. وكانت الدولة تضمن لرعاياهم الحرية والدفاع عنهم بغض النظر عن الانتماء الديني. وكان المسلمون هم العرب من حيث الأساس الذين تم نقلهم إلى أذربيجان من العراق وسورية وغيرها من مناطق الخلافة. كتب البلاذوري في «كتاب فتوح البلدان» يقول إن حاكم أذربيجان الأشعث بن قيس الذي عينه في هذا المنصب الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نقل العرب إلى مدينة اردبيل وبنى فيها المسجد.

وفي عهد الأمويين ازداد الانتشار بالمزيد من المهاجرين إلى المنطقة وأضيفت ولاية أرمينيا في عهد هشام بن عبد الملك بقيادة الجراح بن عبدالله الذي قاد الجيوش لغزو الخزر في شمالي أذربيجان. وفي أوائل القرن الثاني الهجري كانت السيادة

من مدن أذربيجان آنذاك. لكن المرزبان (الحاكم) الساساني لأذربيجان إسفنديار بن فاروخزاد جمع القوات وقاتل المسلمين. ثم عقد أخيراً الصلح مع حذيفة بن اليمان والتزم بدفع 800 ألف درهم له (درهم واحد كان يساوي 3، 125 جرام من الفضة) مقابل الدفاع عن سكان البلد، والتزم المسلمون بدورهم بعدم التدخل في حياة الأذربيجانيين الدينية وضمان حقهم في أداء طقوس الزرادشتية بشكل حر.

بعد فتح أذربيجان ظل المسلمون يشكلون الأقلية لفترة طويلة حيث مضت الاكثوية الساحقة للسكان يدينون بأديانهم التقليدية وقد كان المسلمون أوفياء بالاتفاقيات المعقودة معهم وكانوا يضمنون لأهالي أذربيجان الحرية التامة في أداء طقوسهم الدينية.

### العهد الإسلامي

كان المسلمون يعاملون السكان الاصليين معاملة

تتمتع المنشور ص 26  
فنانى أذربيجان على اطباق خزفية تعبر عن دقة وروعة الصناعات اليدوية في هذا البلد.

وتحتضن أذربيجان اهم مصانع السجاد اليدوي في العالم والتي تتميز عن ايران بأنها الأقدم والأمر وخاصة في رسم صور كبار المشاهير في العالم على سجاد يدوي ومنها سجادة كبيرة لخادم الحرمين الشريفين يزدان بها معرض خاص للسجاد اليدوي للفنان العالمي علييف وسط باكو.

ورغم ما تتمتع به باكو اليوم إلا أنها بلد يعاني من غلاء كبير في تكاليف المعيشة بالنسبة لابناء البلد وهو نفس الغلاء الذي تعاني منه روسيا أيضاً رغم ضخامة الدخل القومي وكأنه طراز خاص في الحياة من ارتفاع اسعار السكن والاطعمة والملابس بشكل كبير مقارنة بغيرها من الدول المجاورة.

### الأديان في أذربيجان

في أذربيجان كانت بدايات الأديان الوثنية ثم الزرادشتية، حيث يؤكد تاريخ أذربيجان أن زرادشت ظهر بها وليس بايران ثم الديانات السماوية التي ما تزال مستقرة في بلد تحكمه العلمانية الى يومنا هذا.

### وصول الاسلام

قبل وصول الإسلام كان السكان على الديانتين المجوسية والمسيحية تحت الحكم الساساني ووصل الإسلام إلى أذربيجان في عهد عمر بن الخطاب، فكانت الحملة الأولى بقيادة عتبة بن فرقد، وعقد المسلمون صلحاً مع (المرزبان) حاكم المنطقة، ثم وصل إليهم حذيفة بن اليمان في حملة فتحت أربيل صلحاً واصبح اول حاكم مسلم لأذربيجان .

وصف المؤرخ العربي المعروف احمد بن يحيى البلاذري (820-896) في «كتاب فتوح البلدان» فتح العرب لاراضي أذربيجان المعاصرة في فترة حكم الخليفة عمر بن الخطاب قائلًا إن الخليفة عمر ﷺ عين حذيفة بن اليمان حاكماً لأذربيجان.

و بعد تعيينه في هذا المنصب وصل حذيفة بن اليمان من نهاوند الى اردبيل التي كانت مدينة اساسية



شوارع باكو مليئة بالحركة والجمال



عمر شهريار.. لوحة تذكارية داخل قلعة العذراء



أشهى أنواع عسل النحل وأجودها عالمياً في معرض سنوي على شواطئ باكو